دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	الأحرف السبعة
المصدر:	التوحيد
الناشر:	جماعة أنصار السنة المحمدية
المؤلف الرئيسي:	حسيني، زكريا
المجلد/العدد:	س 41, ع 484
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	2012
الشهر:	ربيع الآخر / فبراير
الصفحات:	17 - 20
رقم MD:	192220
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	القرآن الكريم، القراءات، الأحرف السبعة
رابط:	https://search.mandumah.com/Record/192220

© 2018 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الأحرف السبعة

إعداد / زكريا حسيني

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد ولد آدم محمد نبي الهدى والرحمة، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه، وبعد:

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: كنت جالسًا في المسجد، فدخل رجل يصلي، فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر، فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه. فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه، فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرآ، فَحَسَّنَ النبي صلى الله عليه وسلم شأنهما. فسقط في نفسي من التكذيب، ولا إذ كنت في الجاهلية، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد غشيني ضرب في صدري، ففضت عرقًا، وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فَرَقًا، فقال لي: «يا أُبَيُّ، أُرْسِل إليَّ: أن اقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه: أن هَوِّنْ على أمتي، فرد إليَّ الثانية: اقرأه على حرفين. فرددت إليه: أن هون على أمتي، فرد إليَّ الثالثة: أن اقرأه على سبعة أحرف، فلك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها، فقلت: اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليَّ الخلق كلهم حتى إبراهيم عليه السلام».

هذا الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: «بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه» برقم (٨٢٠) كما أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم (٢١٢٠٩، ٢١٢١٧، ٢١٢٩٩، ٢١٣٠٧)، وابن أبي شيبة وابن حبان رقم (٤٧٠)، والبغوي في شرح السنة كما عزاه إليهم محقق شرح صحيح مسلم للنووي.

شرح الحديث

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم عند هذا الحديث: قوله: «عن أبي بن كعب: فحسَّن النبي صلى الله عليه وسلم شأن المختلفين في القراءة، فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية». معناه: وسوس لي الشيطان تكذيبًا للنبوة أشد مما كنت عليه في الجاهلية، لأنه في الجاهلية كان غافلاً أو متشككًا فوسوس له الشيطان الجزم بالتكذيب. ونقل النووي عن القاضي عياض قوله: معنى قوله: سقط في نفسي، أنه اعترته حيرة ودهشة، وقوله: «ولا إذ كنت في الجاهلية» معناه: أن الشيطان نزغ في نفسه تكذيبًا لم يعتقده، وهذه الخواطر إذا لم يستمر عليها لا يؤاخذ بها. ومعنى ذلك أن هذه النزغة من الشيطان غير مستقرة في نفس أُبَيٍّ، ثم زالت لما ضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيده في صدره ففاض عرقا.

وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم في صدر أبي بن كعب تثبيتًا له حين رآه قد غشيه ذلك الخاطر الذميم، وأما قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «أرسل إليَّ أن اقرأ على حرف، فرددت إليه أن هون على أمتي...» إلى آخره.

ففي هذه الرواية أن الرد ثلاث مرات، ووقع في رواية أخرى وهي رواية ابن أبي شيبة في صحيح مسلم أيضًا أن الرد كان أربع مرات، وفي الرابعة قال: اقرأ على سبعة أحرف. ويجمع بينهما بأن الرواية الأولى حذف منها بعض المرات، والمقصود بالثالثة فيها الأخيرة، وهي الرابعة.

وقوله تعالى: «ولك بكل ردة رددتكها».

وفي بعض النسخ: «رددتها». وقوله: «مسألة تسألنيها» معناه مسألة مجابة قطعًا، وأما باقي الدعوات فمرجوة ليست قطعية الإجابة.

ما يتعلق بالحديث

قال المحقق ابن الجزري - رحمه الله -: وقد تكلم الناس على هذا الحديث بأنواع الكلام، وصنف الإمام الحافظ أبو شامة - رحمه الله - فيه كتابًا حافلاً، وتكلم بعده قوم وجنح إلى شيء آخر، والذي ظهر لي أن الكلام عليه ينحصر في عشرة أوجه:

الأول: في سبب وروده.

الثاني: في معنى الأحرف.

الثالث: في المقصود بها هنا.

الرابع: ما وجه كونها سبعة؟

الخامس: على أي شيء يتوجه اختلاف هذه السبعة؟

السادس: على كم معنى تشتمل هذه السبعة؟

السابع: هل القراءات التي بين أيدي الناس اليوم هي السبعة أم بعضها؟

الثامن: هل المصاحف العثمانية مشتملة عليها؟

التاسع: هل هذه السبعة متفرقة في القرآن؟

العاشر: ما حقيقة هذا الاختلاف وفائدته؟

وأنا ألخص ما ذكره ابن الجزري في كتابه النشر عن هذه الأوجه العشرة، فأقول مستعينًا بالله تعالى:

أولاً: سبب وروده على سبعة أحرف التخفيف على هذه الأمة، وإرادة اليسر بها، والتهوين عليها.

وهذا التخفيف تشريف للأمة ورحمة بها وخصوصية، وإجابة لقصد نبيها محمد صلى الله عليه وسلم حيث أتاه جبريل فقال له: «إن الله يأمرك أن تَقْرَأَ أمتك القرآن على حرف، فقال صلى الله عليه وسلم: «أسأل الله معافاته ومعونته إن أمتي لا تطيق ذلك». وما زال يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف. [أبو داود ١٤٨٠ وصححه الألباني].

وقد بُعث النبي صلى الله عليه وسلم لجميع الخلق عربيهم وعجميهم، والعرب الذين أُنزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى لغة أخرى، ولاسيما الشيخ الكبير والمرأة ومن لم يقرأ كتابًا، كما أشار الرسول صلى الله عليه وسلم، فلو كُلفوا الانتقال من لغتهم إلى أخرى لكان شاقًا عليهم، وكان من التكليف بما لا يستطاع.

ثانيًا: معنى الأحرف: قال أهل اللغة: حرف كل شيء طرفه ووجهه وحافته، وحده وناحيته، والقطعة منه.

والحرف أيضًا أحد حروف التهجي، كأنه قطعة من الكلمة، قال الحافظ أبو عمرو الداني: معنى الأحرف التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم هاهنا يتوجه إلى وجهين؛ أحدهما أن يعني أن القرآن أنزل على سبعة أوجه من اللغات، والحرف إذن يكون بمعنى الوجه، بدليل قوله تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ» [الحج:١١] الآية، فهذا يعبد الله على وجه واحد وهو النعمة والخير وإجابة السؤال والعافية، فإذا استقامت له هذه الأحوال اطمأن وعبد الله، وإذا تغيرت عليه وامتحنه بالشدة والضر ترك العبادة وكفر، فهذا عبد الله على وجه واحد.

قال (أي الإمام الداني): والوجه الثاني من معناها أن يكون سمى القراءات أحرفا على طريق السعة كعادة العرب في تسميتهم الشيء باسم ما هو منه، وما جاوره، وما قاربه، كتسمية الجملة باسم البعض منها، فلذلك سمي النبي صلى الله عليه وسلم القراءة حرفًا وإن كان كلامًا كثيرًا من أجل أن منها حرفًا قد نظمه أو كُسِرَ أو قُلِبَ أو أميل، أو زيد أو نقص منه. قال ابن الجزري: وكلا الوجهين محتمل.

ثالثًا: المقصود بهذه السبعة؛ سبق بيانه في المقال السابق وبيان اختلاف

العلماء فيه، مع إجماعهم على أنه ليس المقصود أن يقرأ الحرف الواحد على سبعة أوجه؛ إذ لا يوجد ذلك إلا في كلمات يسيرة.

رابعًا: وجه كونها سبعة أحرف ولم تكن أقل أو أكثر، فقال الأكثرون: إن أصول قبائل العرب تنتهي إلى سبعة، أو أن اللغات الفصحى سبع، وكلاهما دعوى تحتاج إلى دليل، وقيل: ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص بل المراد السعة والتيسير، قال ابن الجزري: وهذا جيد لولا أن الحديث يأباه.

خامسًا: على أي شيء يتوجه اختلاف هذه السبعة؟

يتوجه على أنحاء ووجوه مع السلامة من التضاد والتناقض؛ فمنها: ما يكون لبيان حكم مجمع عليه كقراءة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وغيره (وله أخ أو أخت من أم)، فإن هذه القراءة تبين أن المراد بالإخوة هنا هو الإخوة للأم، وهذا أمر مجمع عليه.

ومنها: ما يكون للجمع بين حكمين مختلفين كقراءة (يَطْهُرْنَ) و(يَطَّهَّرْن) بالتخفيف والتشديد، ينبغي الجمع بينهما، وهو أن الحائض لا يقربها زوجها حتى تَطْهُرَ بانقطاع حيضها، وتطَّهَّرَ بالاغتسال.

ومنها: ما يكون لأجل اختلاف حكمين شرعيين كقراءة (وأرجلكم) بالخفض والنصب، فإن الخفض يقتضي فرض المسح، والنصب يقتضي فرض الغسل، فبيَّنهما النبي صلى الله عليه وسلم فجعل المسح للابس الخف، والغسل لغيره.

ومنها: ما يكون لإيضاح حكم يقتضي الظاهر خلافه؛ كقراءة (فامضوا إلى ذكر الله)، فإن قراءة (فاسعوا) يقتضي ظاهرها المشي السريع وليس هذا هو المقصود.

ومنها: ما يكون مفسرًا لما لعله لا يُعرف مثل قراءة: (كالصوف المنفوش) تفسيرًا لقراءة (كالعهن المنفوش).

ومنها: ما يكون حجة لأهل الحق ودفعًا لأهل الزيغ كقراءة (ومَلِكًا كبيرًا) بفتح الميم وكسر اللام، وردت عن ابن كثير وغيره، وهي من أعظم دليل على رؤية المؤمنين ربهم في الدار الآخرة.

ومنها: ما يكون حجة لترجيح قول بعض العلماء، كقراءة (أو لمستم النساء) إذ اللمس يطلق على الجس والمس كقوله تعالى: «فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ» [الأنعام:٧].

ومنها: ما يكون حجة لقول بعض أهل العربية، كقراءة (والأرحام) بالخفض، وقراءة (ولِيُجْزَى قومًا) على ما لم يُسَمَّ فاعله مع النصب.

سادسًا: على كم معنى تشتمل هذه الأحرف السبعة؟

إن المعاني التي تشتمل عليها من حيث وقوعها وتكرارها - صحيحًا وشاذًا لا تكاد تنضبط من حيث التعداد، بل يرجع ذلك كله إلى معنيين: أحدهما: ما اختلف لفظه واتفق معناه؛ سواء كان الاختلاف اختلاف كل أو جزء نحو: (والعهن - والصوف، ونَقْيَة - وصَيْحَة، وخُطُوَات - وخُطْوات، وهُزُوًا - وهزًا - وهزؤًا).

والثاني: ما اختلف لفظه ومعناه نحو: (قال رب - وقل رب، ولنبوئنهم - ولنثوينهم، ويخدعون - ويخادعون واتخِذُوا من مقام إبراهيم مصلى- واتخَذُوا من مقام إبراهيم مصلى، إلى غير ذلك. قال ابن الجزري: وبقي ما اتحد لفظه ومعناه؛ مما يتنوع صفة النطق به؛ كالمدات، وتخفيف الهمزات، والإظهار والإدغام، والرَّوْم والإشمام، وترقيق الراءات وتغليظ اللامات. ونحو ذلك مما يعبر عنه العلماء بالأصول، فهذا عندنا ليس من الاختلاف الذي يتنوع فيه اللفظ أو المعنى.

سابعًا: هل هذه السبعة الأحرف متفرقة في القرآن؟

لا شك أنها متفرقة فيه، بل وفي كل قراءة ورواية باعتبار ما قرر من أن المراد سبعة أحرف، لا أنها منحصرة في قراءة ختمة وتلاوة رواية، فمن قرأ

ولو بعض القرآن بقراءة معينة اشتملت على الأوجه المذكورة فإنه يكون قد قرأ بالأوجه السبعة التي ذكرناها دون أن يكون قرأ بكل الأحرف السبعة. وقول أبي عمرو الداني: «إن الأحرف السبعة ليست متفرقة في القرآن كلها، ولا موجودة فيه في ختمة واحدة بل بعضها»، فإنه صحيح على ما أصَّله من أن الأحرف هي اللغات المختلفات، فإن من قرأ برواية من الروايات لا يمكنه أن يحرّك الحرف ويسكّنه في حالة واحدة، أو يرفعه وينصبه، أو يقدمه ويؤخره في آن واحد، فدل على صحة ما قاله - رحمه الله -.

ثامنًا: هل المصاحف العثمانية مشتملة على الأحرف السبعة؟

قال المحقق ابن الجزري: هذه مسألة كبيرة، اختلف فيها العلماء؛ فذهب جماعة من الفقهاء والقراء والمتكلمين إلى أن المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة، وبنوا ذلك على أنه لا يجوز على الأمة أن تهمل نقل شيء من الحروف السبعة التي نزل القرآن بها، وقد أجمع الصحابة على نقل المصاحف العثمانية من الصحف التي كتبها أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وإرسال كل مصحف منها إلى مصر من أمصار المسلمين، وأجمعوا على ترك ما سوى ذلك، قال هؤلاء: ولا يجوز أن ينهى عن القراءة ببعض الأحرف السبعة ولا أن يجمعوا على ترك شيء من القرآن.

وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أن هذه المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط، جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي صلى الله عليه وسلم على جبريل عليه السلام، متضمنة لها لم تترك شيئًا. قال ابن الجزري: وهذا القول هو الذي يظهر صوابه؛ لأن الأحاديث الصحيحة والآثار المشهورة المستفيضة تدل عليه وتشهد له. هكذا انتصر ابن الجزري لهذا القول، بينما انتصر صاحب مناهل العرفان للقول الأول، وقد أجاد وأفاد، وذلك بعدما أضاف قولاً ثالثًا نسبه لابن جرير ومن لفَّ لفَّهُ، وهو أن الموجود في المصاحف العثمانية هو حرف واحد من السبعة، وأن الأحرف الستة الأخرى قد ذهبت ولم يعد لها وجود ألبتة.

قال الزرقاني في مناهل العرفان: «إن أصحاب هذا الرأي - على جلالة قدرهم ونباهة شأنهم - قد وضعوا أنفسهم في مأزق ضيق؛ لأن ترويجهم لمذهبهم اضطرهم إلى أن يتورطوا في أمور خطرها عظيم، ونسوا أو تناسوا تلك الوجوه المتنوعة القائمة في القرآن على جبهة الدهر إلى اليوم، ثم حاولوا أن يؤيدوا ذلك فلم يستطيعوا أن يثبتوا للأحرف الستة التي يقولون بضياعها نسخًا ولا رفعًا، إلى أن قال: ألا إن هذه ثغرة لا يمكن سدها، وثلمة يصعب جبرها، وإلا فكيف يوافق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ضياع ستة أحرف نزل عليها القرآن، وقد عرف الصحابة وعلى رأسهم الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه كيف عالج الرسول صلى الله عليه وسلم اختلاف القراءات بين أصحابه رضي الله عنهم. إلى أن قال: ولدينا دليل مادي أيضًا على بقاء الأحرف السبعة جميعًا، وهو بقاء التيسير والتخفيف وتهوين الأداء على الأمة الإسلامية الذي هو الحكمة في الأحرف السبعة، فنحن لا نزال نشاهد عن طريق القراءات المختلفة القائمة الآن سبيلاً سهلاً قد وسع كافة الشعوب المسلمة؛ سواء منها الأمم العربية وغير العربية، والحمد لله على دوام فضله ورحمته وبقاء تخفيفه وتيسيره، وغفر الله لأولئك الأعلام الذين جانبهم الصواب؛ فقد اجتهدوا وللمجتهد أجر وإن أخطأ. ونسأل الله التوفيق والسداد، وللحديث بقية إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.